أدبية التشابه والاختلاف في القرآن الكريم

التعاريف

1 ـ التشابه في القرآن الكريم :هو التماثل أو التقارب بين الآيات في الألفاظ أو المعاني أو الأسلوب. مثل قوله تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ) البقرة: ٥٨، وقوله: (وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ) الأعراف :

2 ـ الاختلاف في القرآن الكريم :يُقصد به هنا الفروق بين الآيات المتشابهة، كاختلاف كلمة، أو زيادة لفظ أو حذفه، أو تقديمه وتأخيره، بما يناسب سياق كل آية ومعناها. ففي المثال السابق جاء في البقرة (ادْخُلُوا)، وفي الأعراف (اسْكُنُوا).

وهذا اختلاف تنوّع في التعبير، وليس تناقضًا في القرآن الكريم.

3 ـ (التشابه والاختلاف في القرآن الكريم)المعروف في علوم القرآن بـ المتشابه اللفظي:

يُقصد به وجود آيات أو تعبيرات قرآنية تتشابه في أصل موضوعها أو سياقها التركيبي والقصصي، ولكنها تختلف وتتفاوت في جزئيات دقيقة؛ كإبدال كلمة بأخرى، أو زيادة حرف أو حذفه، أو التغيير في البناء الصرفي والإعرابي (مثل الإسناد صراحة مقابل البناء للمجهول، أو تقديم عنصر وتأخير آخر.

وهذا التماثل والتنوع التعبيري ليس مجرد تكرار عريض، بل هو أمر مقصود في كل جزئية من جزئياته، قائم على أعلى درجات الفن والبلاغة والإعجاز.

هل يُعد التشابه والاختلاف من العناصر الأدبية والبلاغية؟

نعم، يُعدّ التشابه والاختلاف من أرفع العناصر الأدبية والبلاغية وأحد أهم ركائز "جماليات النظم القرآني" والإعجاز البياني؛ حيث يكشف التحليل الأدبي لهذا التباين الدقيق عن أسرار بلاغية وكنوز تعبيرية تعكس التناسق المطلق للنص.

كيف يُجسّد التشابه والاختلاف عنصراً أدبياً وفنياً؟

يتجلى الأثر الأدبي والبلاغي لهذا التنوع اللفظي في القرآن الكريم عبر عدة أبعاد ومظاهر:

1. التلاؤم التام مع سياق السورة ومقاصدها العامة: تُصاغ المفردة في الآية المتشابهة لتتطابق بدقة مع الجو الهيمن على السورة؛ فالآية في السورة القائمة على الامتنان والتفضل (كالبقرة) تُصاغ بألفاظ التوسعة والإكرام، بينما الآية ذاتها في السورة القائمة على المحاججة والتقريع في سورة (الأعراف) تُصاغ بأسلوب التجريد أو البناء للمجهول.

1. الدقة الصرفية وتوظيف الأبنية والجموع: تتغير الصيغة الصرفية لتؤدي وظيفة دلالية وأدبية خافية؛ مثل العدول بين جمع التكسير ليدل على الكثرة والمبالغة واستخدام في آية أخرى جمع المؤنث السالم ليدل على القلة والمقام المحصور وكذلك المفاضلة بين الصيغ الدالة على الحدوث والتجدد (كالفعل) والصيغ الدالة على الثبوت والرسوخ (كالاسم والصفة المشبهة).

2. إثراء الدراما والتصوير المشهدي (جماليات المفارقة): يُسهم التنوع اللفظي في حكاية القصص القرآني في رسم البُعد النفسي للشخصيات وإبراز التباين بين لغة الحق ولغة الباطل، مما يعمق أثر المفارقة الدرامية ووظيفة الهداية للخطاب القرآني .

مثال لذلك : يتجلى الفارق الدقيق في التشابه والاختلاف بين جمعي القلة والكثرة في القرآن الكريم عند المقارنة بين لفظتي ﴿سَنَابِلَ﴾ و﴿سُنْبُلَاتٍ﴾،

أولاً: النص الكامل للآيتين الكريمتين (مضبوطتين بالشكل التام)

1. آية سورة البقرة (استعمال جمع التكسير للكثرة: ﴿سَنَابِلَ﴾):

﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مَّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 261].

2. آية سورة يوسف (استعمال جمع المؤنث السالم للقلة: ﴿سُنْبُلَاتٍ﴾):

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾ [يوسف: 43])

ثانياً: بيان الفرق والتوجيه الصرفي والبلاغي

مع أن العدد المذكور في كلا الموضعين هو العدد نفسه (سَبْعَ)، إلا أن التعبير القرآني عدل بين الجمعين بدقة متناهية لتناسب كل صيغة مقامها:

- ﴿سَنَابِلَ﴾ في سورة البقرة :جاءت الكلمة على صيغة جمع التكسير (على وزن فَعَالِل)، وهو بناء يُفيد الكثرة والمبالغة .والسر في اختيارها أن آية البقرة سِيقَت في مقام التكثير ومضاعفة الأجور والتفضل الإلهي على المُنفقين ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾؛ فاستلزم مقام الإفاضة بالخير والبركة اختيار صيغة جمع الكثرة.

- ﴿سُنْبُلَاتٍ﴾ في سورة يوسف :جاءت الكلمة على صيغة جمع المؤنث السالم، وهو يُعامل في العربية معاملة جمع القلة عند مقابلته بجمع التكسير. والسر في اختيارها أن سياق سورة يوسف سِيق في مقام حكاية رؤيا معدودة ومحصورة في سبع سنبلات معينات؛ والعدد سبعة هو من أعداد القلة (ما بين

الثلاثة والعشرة)، ولم يكن في المشهد مقتَضٍ للتكثير أو مَقام لمضاعفة الأجر، فجاء التعبير بلفظ القلة ليناسب حجم العدد المحصور في الرؤيا.

.

وإذا تأملت هذا التشابه والاختلاف وجدته أمراً مقصوداً في كل جزئية من جزئياته قائماً على أعلى درجات الفن والبلاغة والإعجاز. وكلما تأملت في ذلك أزددت عجباً وانكشف لك سر مستور أو كنز مخبوء من كنوز هذا التعبير العظيم.

ورد التشابه والتنوع اللفظي بين آيتي سورة البقرة وسورة الأعراف أنموذجا في القرآن الكريم.

أولاً: نص الآيتين الكامل

1. آية سورة البقرة:

﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 58].

1. آية سورة الأعراف:

وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (161) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ(162) [الأعراف: 161].

ثانياً: التفسير التحليلي عند أئمة التفسير (الطبري، القرطبي،)

1.)تفسير الإمام الطبري :يُبيّن الإمام الطبري أن سياق سورة البقرة هو تذكير إلهي مباشر لبني إسرائيل بالنعم الجليلة التي أُحيطوا بها بعد التيه، حيث أُمِروا بدخول القرية (بيت المقدس أو أريحا) خاضعين لله ﴿سُجَّدًا﴾ وأن يستغفروا بـ ﴿حِطَّةٌ﴾ أي: "حُطَّ عَنَّا ذُنُوبَنَا"، ليجازيهم الله بمغفرة الخطايا والزيادة في ثواب المحسنين. أما في سورة الأعراف، فيذكر الطبري أن الأمر جاء بصيغة المبني للمجهول ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ﴾ إخباراً عما أُمِروا به على لسان نبيّهم موسى عليه السلام، وجاء التعبير بـ ﴿اسْكُنُوا﴾ ليدل على اتخاذ القرية وطناً واستقراراً ثابتاً بعد طول الاضطراب والتيه في الأرض.

2.) تفسير الإمام القرطبي :يوضح الإمام القرطبي في تفسيره "الجامع لأحكام القرآن" أن الفارق في الصياغة يعود إلى اختلاف الغرض السياقي لكل سورة؛ فسورة البقرة بُنيت على التعداد والافتتاح بنعم الله المتوالية والإحسان المباشر، فلذا ورد الإسناد بضمير العظمة ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ تشريفاً وتكريماً، وأُمروا بالدخول ﴿ادْخُلُوا﴾ نوالاً للنعمة، وقُرنت التوسعة برغد العيش ﴿رَغَدًا﴾، وجاءت المغفرة بصيغة ﴿خَطَايَاكُمْ﴾ لتناسب اتساع الرحمة ومقام التفضل.

بينما جاءت سورة الأعراف في معرض تقريع بني إسرائيل وحكاية سَفَههم ومخالفتهم لأوامر الله وتعديد ذنوبهم؛ فلذلك بُني الفعل للمجهول ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ﴾ إعراضاً عن مخاطبتهم المباشرة وتنكيلاً بهم، وجاء التعبير بـ ﴿اسْكُنُوا﴾ للإشارة إلى الإقامة والاتخاذ وطناً، وحُذِفت لفظة ﴿رَغَدًا﴾، واستُعمل جمع القلة ﴿خَطِيئَاتِكُمْ﴾ تقليلاً وتصغيراً ل شأن استغفارهم أو تنبيهاً على خطاياهم في مقام العتاب والتقريع.

رابعاً: العناصر الأدبية والبلاغية والفنية في النصين

1. التناغم بين المفردة والسياق العام للسورة:

سورة البقرة سورة امتنان وإحسان؛ لذا جاءت جملها مفعمة بأدوات التوسعة والإنعام (نون العظمة ﴿قُلْنَا﴾، فاء السرعة ﴿فَكُلُوا﴾، لفظ التوسعة ﴿رَغَدًا﴾، وجمع الكثرة ﴿خَطَايَاكُمْ﴾).

سورة الأعراف سورة حِجاج وتفصيل لذنوب الأمم؛ فلذا جاءت الألفاظ متسمة بالإيجاز والتجريد المناسب للمحاسبة (البناء للمجهول ﴿قِيلَ﴾، العطف بالواو ﴿وَكُلُوا﴾، وحذف ﴿رَغَدًا﴾، وجمع القلة ﴿خَطِيئَاتِكُمْ﴾).

2. الدقة الصرفية في الأبنية ودلالات الجموع:

أ: معنى "خطايا" و"خطيئات" والفرق الصرفي بينهما

أصل المعنى الاشتقاقي (خَطِئَ أَخْطَأَ): تأتي الكلمتان من الفعل الثلاثي (خَطِئَ)، وهو يُستعمل في العربية للذنب المرتكب عن قصد وتعمّد وجرأة، بينما يُستعمل الفعل الرباعي (أَخْطَأَ) لما وقع عن غير قصد أو عن سهو وعدم صواب .
فالخطيئة هي الذنب العظيم الذي يقترفه العبد بتعمد واستكبار.

ب :الفارق السياقي الأدبي والصرفي (جمع الكثرة جمع القلة)

أولا:﴿خَطَايَا﴾ :جمع تكسير على وزن (فَعَالَى)، وهو جمع كثرة يُفيد التوسع والمبالغة في الأفراد والذنوب. وجاءت في سورة البقرة ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ لتتناسب مع مقام التفضل وسعة المغفرة الإلهية المبسوطة المقترنة بنون العظمة ﴿قُلْنَا﴾؛ فالمغفرة الإلهية تسع الكثرة الكاثرة من الذنوب.

﴿خَطِيئَات﴾ :جمع مؤنث سالم يُعامل معاملة جمع القلة مقارنة بجمع التكسير.
وجاءت في سورة الأعراف ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ﴾ لتتناسب مع مقام المحاسبة

والإعراض والتقريع المقترن بالبناء للمجهول ﴿قِيلَ﴾؛ تقليلاً لشأن استغفارهم وتزهيداً في امتثالهم.

-

4: لماذا عُبّر بـ (الخطايا/الخطيئات) ولم يقل (سيئات)؟

- يتجلى سر العدول عن لفظ "سيئات" إلى "خطايا وخطيئات" في الفارق الدلالي بين المفهومين في الاستعمال القرآني:

طبيعة الذنب(السيئة الخطيئة)

السيئة :مشتقة من السوء (ما يسوء صاحبه)، وتُطلق غالباً في القرآن على صغائر الذنوب أو التبعات التي تُقابل الحسنات وتُحاط بالتكفير الشامل (كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾).

الخطيئة :تُطلق على الذنب الشديد العظيم الناتج عن المخالفة الصريحة والتعمد القبيح الذي يُحيط بالعبد ويستوجب التوبة المباشرة أو العقاب (كما في قوله تعالى: ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾).

مطابقة اللفظ لواقع جُرم بني إسرائيل :لم يكن ما ارتكبه بنو إسرائيل مجرد زلل بسيط أو صغائر هينات (سيئات)، بل كان مخالفة صريحة وجريئة لأمر إلهي مباشر؛ حيث بدّلوا القول المأمور به (حطة) إلى استهزاء (حنطة)، ودخلوا الباب يزحفون على أدبارهم بدلاً من الدخول سجّداً وخاضعين. وهذا التعمد والاستكبار الصريح يُعد في البيان القرآني "خطيئة "عظيمة، فكان التعبير بـ (الخطايا/الخطيئات)هو الأطبق لوصف جرمهم القائم على الجرأة والتحدي، والأنسب لمقام محو الذنوب العظام بالتوبة.

5 .التلوين الفني والحركي:

أ: يبرز المشهد حركة بدنية ونفسية متكاملة؛ تتدرج بين الحركة المكانية (الدخول/السكون)، والحركة السلوكية (الدخول سجّداً/الخضوع)، والحركة

اللسانية التعبدية (قول كلمة حطة)، ليكون الجزاء المحوري هو مغفرة الذنوب والزيادة في الأجر.

ب أما أوجه الاختلاف ودقائق التوجيه في الألفاظ، فتتجلى في عدة فقرات:

6 . إسناد القول(قُلْنَا قِيلَ)في سورة البقرة أُسند القول صراحة للذات العلية ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ لأن المقام مقام تشريف وتفضل وإظهار للنعم المباشرة. أما في سورة الأعراف فبُني الفعل للمجهول ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ﴾ إعراضاً عنهم وتنكيلاً بهم لأن السياق سياق توبيخ وتعديد لمخالفاتهم.

7 .الفعل اللفظي(ادْخُلُوا اسْكُنُوا) (عُبّر في البقرة بـ ﴿ادْخُلُوا﴾ لبيان ابتداء الشروع في النعمة والانتقال إليها، بينما عُبّر في الأعراف بـ ﴿اسْكُنُوا﴾ لبيان القرار والدوام والاستقرار في الأرض بعد طول التيه والاضطراب

.

- 8 . حرف العطف (فَكُلُوا وَكُلُوا) ورد في البقرة بالفاء التعقيبية ﴿فَكُلُوا﴾ لإفادة السرعة والإنعام المعجل تكرمةً لهم، في حين ورد في الأعراف بالواو ﴿وَكُلُوا﴾ لمطلق العطف ومجرد الإخبار دون إفادة السرعة.

9.ذكر لفظة (رَغَدًا) وحذفها :ذُكِرت ﴿رَغَدًا﴾ في البقرة لتكثير التوسعة والإسباغ في نعم الأكل، بينما حُذِفت في الأعراف لعدم مناسبة الإنعام الموسع والمُرفّه لمقام العتاب وتقريع الذنوب.

10.الزيادة بالحرف والتجرد منه(وَسَنَزِيدُ سَنَزِيدُ)جاءت بالواو العاطفة في البقرة ﴿وَسَنَزِيدُ﴾ لعطف الزيادة على المغفرة كنعمة مضافة، بينما جاءت في الأعراف بالاستئناف ﴿سَنَزِيدُ﴾ دون واو.

11.التقديم والتأخير بين الدخول والقول :قُدّم الدخول على القول في البقرة ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ للاهتمام بابتداء الفعل والامتثال للنعمة المكانية، وقُدّم القول على الدخول في الأعراف ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ مراعاةً للترتيب وتناسق الفواصل والسياق التقريعي المتدرج.

12.الملاءمة البلاغية بين الألفاظ والسياق العام :تتجلى روعة النظام القرآني في انسجام الألفاظ مع الجو العام للسورة؛ فسورة البقرة سورة امتنان وتفضل فلزمها استخدام أدوات التوسعة والسرعة ونسب الأفعال للذات الإلهية، بينما سورة الأعراف سورة حِجاج ومحاسبة للأمم فلزمها الإيجاز والبناء للمجهول والتقليل المناسب لمقام التوبيخ.

13.التصوير الحركي والنسق المشهدي :يرسم النصان مشهداً حركياً وسلوكياً متكاملاً يتدرج بين الاستقرار المكاني (الدخول/السكون)، الخضوع البدني (الدخول سجوداً)، والتعبد اللساني (قول كلمة حطة)، ليرتبط هذا الأداء السلوكي واللفظي مباشرة بالجزاء الإلهي المتمثل في محو الذنوب والإفاضة بالإحسان.

14.مفارقة المشهد والجماليات القصصية

تُبيّن الدراسات المرفوعة حول "جماليات المفارقة في القصص القرآني "أن هذا التباين اللفظي يعكس عمق المفارقة الدرامية والتعليمية في السرد القرآني:

- ففي الوقت الذي صدر فيه الأمر الإلهي التكريمي المستوجب للخضوع والشكر (الدخول سجّداً والاستغفار بكلمة حطة)، وقعت المفارقة في سلوك بني إسرائيل باستبدال القول وتحريف التكليف.
- وتجلّت المفارقة في سورة البقرة بإبراز التناقض بين عظمة العطاء الإلهي وسعة مغفرته لـ ﴿خَطَايَاكُمْ﴾ وبين جحودهم وتضييقهم على أنفسهم .بينما

أظهرت سورة الأعراف صورة العقاب العادل وتجريد الخطاب من أدوات التكريم ليعكس شؤم المعصية والانحراف عن طريق الهداية.

وظيفة الهداية للآيتين

تتصل هذه النقلات اللفظية والدقائق الصرفية بـ الوظيفة الإقناعية والهدايتية للخطاب القرآني:

1. وظيفة التربية بالاستبشار والرجاء (سورة البقرة) :تخاطب آية البقرة وجدان المسلم بعرض النعم الجليلة والمغفرة الواسعة للذنوب الكثيرة، مما يُربّي العبد على حسن الظن بالله، ويدفعه إلى المسارعة في طاعته والزيادة في الإحسان ليكون من المحسنين.
2. وظيفة التربية بالحذر والمسؤولية (سورة الأعراف) :تخاطب آية الأعراف عقل العبد ببيان شؤم الاستخفاف بأوامر الله؛ حيث تُبيّن أن العتو والإصرار على المخالفة يحرمان العبد من القرب والخطاب المباشر، ويجعلان استغفاره ومقامه محاطاً بالحساب والدقة، مما يغرس في نفس السالك التقوى والخشية والامتثال الكامل لدستور السماء.

المصدر

التعبير القراني فاضل السامرائي